الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الجمهورية
التاريخ: ٢٠٠١/٧/٢

شبابيك
حتى لا يعلو صوت على صوت السادات!

زينب منتصر

بعد أن اقيمت السرادقات الكبيرة للاحتفال بالفنان «أحمد زكي» عن فيلمه ودوره في أيام السادات «من كل نوع وصنف» وبعد أن اندفعت كتيبة من الإعلاميين تشيد بالدور والفيلم وبالفن وبعد أن دوى التصفيق في حفل الافتتاح -في الأسبوع الماضي- والتي شهده ما لايقل عن «٢٥٠٠» مدعو تتقدمهم أسرة السادات وحرمه السيدة جيهان السادات.

بعد كل هذا وذاك. ذهبت للمرة الثانية لأشاهد فيلم «أيام السادات» حتى أبعد وأبتعد عن دائرة الاتهام الجاهزة لكل من يختلف مع مضمون الفيلم بحجة الأفكار أيًا ما كانت هذه الأفكار، والتي أطلق عليها نجم الفيلم الأفكار المسبقة!! أو حتى الخوض في السياسة. كما لو ان المطلوب إثباته من الفيلم أن يتناوله الناس من مبدأ «الفن لأجل الفن». وهو امر قتل بحثا منذ مايقرب من اربعين عامًا تقريبًا. عندما طلع د. «رشاد رشدي» مبشرًا به. فما كان من كبار المفكرين المصريين إلا أن تصدوا له نفيًا واختلافًا مؤكدين أن الفن للمجتمع. عمومًا ذهبت للمشاهدة للمرة الثانية حتى أحاول أن اقرأ الفيلم قراءة داخلية متأنية ومتأملة وصافية، بعيدًا عن كل المؤثرات الخارجية والوصايا العشر!!

وإذا بي أخرج أشد قلقًا مما دخلت والأسباب عديدة. فقد حاول الفيلم على امتداد ثلاث ساعات طويلة أن يقدم لنا كشف حساب لحياة أنور السادات متمحورًا حوله. والكل يدور في فلكه في فترة زمنية امتدت لتتجاوز الأربعين عامًا. قبل أن يتولى الحكم، وقبل ثورة يوليو وبعد ثورة يوليو وحكم عبدالناصر ثم فترة حكمه التي استمرت «١١» عامًا من ١٩٧٠: ١٩٨١ بطريقة ذاتية وحيدة الجانب وكأننا نقرأ كتابين لا ثالث لهما. «البحث عن الذات» وهو السيرة الذاتية للرئيس الراحل السادات فضلاً عن السيرة الذاتية للسيدة حرمه والتي أكدتها في حلقات اذيعت على إحدى الفضائيات العربية. وكأن الجميع مدعوون لكي يشاهدوا تجليات السيرتين الذاتيتين وهما يصبان في فكرة الكل في واحد أو المستبد المستنير كما جاء على لسان السادات شخصيًا في وقائع الفيلم. ولأن الفترة الزمنية طويلة للغاية «٤٠» سنة، فهي أقرب للملحمة منها للعمل الدرامي المحبك. فقد حاول صناع الفيلم من صاحب السيناريو والحوار «أحمد بهجت» ومعاونة أحمد زكي له وهو منتج الفيلم والمخرج «محمد خان» أن يضفوا على مايزيد على نصف شريط الفيلم الأول أسلوبًا أقرب ما يكون إلى تصوير حياة السادات كمواطن مصري -ضابط صغير- يشق طريقه وسط أحجار المجتمع الصلدة بعدما تقطعت به السبل للعيش في هدوء وسكينة وسط أسرته. ولن نتوقف في هذا الجزء الطويل حول روايات التاريخ ومعطياته تحسبًا للحجارة والحجارة المضادة! المهم تأتي الثورة وتمر وتبعد ويعتلي الرئيس السادات سدة الحكم ونصبح في شوق لاكتشاف تجليات أيام السادات، أي عصر السادات «قضاياه» كما جرى العرف المصري في إطلاق أيام فاروق على عهده وأيام عبدالناصر على عهده، لكننا نكتشف أن عهد السادات يمرق كما يمرق الرعد ويطير كما تطير السحب السيارة السريعة، وكأننا نقرأ في كتاب المطالعة الرشيدة حول بطل الحرب والسلام، حيث رؤوس موضوعات مبتسرة تكر كر بكرة الخيط الطويلة والمعقدة. تطل منها مجموعة من العيون المبلقة أو المذهولة أو المندهشة أو المستحية أو الظهور العريضة -خاصة ظهر عبدالناصر الذي قتل تصويرًا بمراحل سنه وعصره الذي استمر ١٨ عامًا- وكأن المطلوب إثباته رغم أنف الجميع أن لا صوت يعلو فوق صوت السادات حتى ولو كان صوت حقائق التاريخ أو حتى المعاصرين!!